ثقافة مصر

هل تكون عربية أم فرعونية ؟

هـذا عنوان لمناظرة دارت بين الأستاذين عبد الله عفيفى المحرر العربى بالديوان الملكى، وحسن صبحى المحرر بجريدة البلاغ ، دعا فيها الأول إلى العربية، ودعا الثانى إلى الفرنية ؛ وقد أيد الأول كثيرون، منهم الأساتذة : زكى مبارك، والسباعى السباعى بيومى ، ومحمد الهراوى ، وعبد العزيز الاسلامبولى ؛ وانتصر للثانى آخرون من الأدباء ، يحضرنا منهم اسم الشيخ عبد الجواد رمضان .

وقد فازت فكرة العربية على الفرعونية ، ولخصت جريدة « البلاغ » الغراء أقوال الفريقين، ومنها رأى صاحب « المعرفة » ؛ وهو ماننقله هنا كما ورد بنصه فى « البلاغ » عدد ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٣ . وقد كنا نود كتابة بحث واف فى هذا الموضوع ،وتأييده بما كتبناه فى عدد أغسطس سنة ١٩٣٣ ، قبل ذيوع هذه النعرة أخيراً ، ولكنا اكتفينا بنشر هذا الملخص ، راجين أن تقف المسألة عند هذا الحد .

***

رأى الأستاذ الاسلامبولى

لست أعدو الحق حين أقرر أن الفريقين يختصمان فى غير قضية ، ويتناظران فى غير دعوى . ولو سلمنا جدلا بوجود اختلاف فى فكرتيهما ، فإنا نراه خلافا فى العرض دون الجوهر، وتنازعا على الفروع لا على الأصول .

فأنا مثلا أسلم جدلا بأنا فراعنة ،وبعبارة أصح مصريون ، على حد التعبير الأخير الذى ارتضاه زميلى الأستاذ صبحى بعد عدوله عن التسمية الأولى .

وسواء لدى أعدلت التسمية أم لم تعدل ، فإنى أوافق زميلى على طول الخط ، لكى أجره إلى الاعتراف بأن دعواه تحمل فى ثناياها أدلة العروبة ،والعروبة الصادقة إلى أقصى حد .

وآية ذلك أن علماء الآثار (وهذا هو المنطق الذى يحاجنا به الزميل ، والسيف الذى

يرفعه فى وجوهنا) وعلى رأسهم الأستاذ برستيد عالم الآثار العالمى والمؤرخ الأمريكى المعروف، قرر أن قدماء المصريين دخلوا مصر من الصحراء الشرقية ، كما قرر أيضاً أن قبائل أخرى منهم جاءت من الصحراء الليبية ، وأن الفريقين امتزجا معا إلى السامية .

فماذا نستنتج من هذا ؟ لا شك أنا نستنتج أن الفاتحين الأولين ، أو المتوطنين الأقدمين، عرب خلص ، أو عرب لحماً ودماً إن شئتم .

وما لى أذهب بحضراتكم بعيداً، ولا أحدثكم بما سمعت من نصف عام واحد فى هذا الموضوع.

جاء مصر فى هذا العام العلامة الألمانى الكبير الأستاذ « هرمان جرابو » أستاذ الحضارة المصرية القديمة ولغاتها بجامعة برلين ، والعضو المختص بالبحوث العلمية فى مجمع بروسيا العلمى، وقد قضى خمسة وثلاثين عاماً — مع الأستاذ العالمى « أدولف إرمان » الملقب بأبى الحضارة المصرية القديمة ولغاتها — فى وضع قاموس كبير فى تلك اللغة ، بلغ خمسة مجلدات مجموع صفحاتها ٢٨٠٠ من الحجم الكبير .

جاء مصر هذا الأستاذ ومعه نسخة من قاموسه قدمها لجلالة مولانا الملك ، فانتهزت فرصة وجوده بين ظهرانينا، وقابلته فى دار جمعية الشبان المسلمين، حيث ألقى محاضرة عن ذلك القاموس. ثم تحدثت إليه فى أمور شتى ، أهمها أصل قدماء المصريين ، فصرح لى بما خلاصته أنه يرجح كثيراً أنهم من أصل عربى، وقد نشرت هذا الحديث فى مجلة « المعرفة » عدد يناير سنة ١٩٣٣، فليرجع إليه من شاء .

فاذا صح هذا ، وهو صحيح لا يحتمل جدلا ، ثم إذا أضفنا إلى ذلك اعتراف الزميل الأستاذ صبحى فى هذه الليلة اعترافا صريحا لا لبس فيه ولا غموض ، بمعنى ما قدمنا ، خلصنا إلى الجوهر ، وانتهينا إلى الأصل ، فاذا بالعرض يزول ، والفرع يتبع أصله ؛ وإذن فلا دعوى ولا قضية، ولا خلاف ولا تناظر .

وأخيراً لست أرانى أيها السادة فى حاجة إلى تذكير حضراتكم بأن العالم وقت أن كانت تتنازعه سلطتان مبسوطتان أو دولتان قويتان : الدولة الفارسية التى ملكت الشرق ، والدولة الرومانية الشرقية التى حكمت الغرب ، لم تستطع منذ أربعة عشر قرنا قوة ما ولا مدنية ما ولا أمة ما ، التغلب على هاتين الدولتين، غير دولة العرب الناشئة، التى بلغت فى أقل من ثمانين عاماً مالم تبلغه كل من سابقتيها فى مئات السنين.

أيها السادة! لقد أوجد دين العرب أمة من أشتات متفرقة، فكانت (العرب) ولم تكن (الفرس) أو (التركستان) أو (الهند) أو (الأفغان) ، أو ما شاكل ذلك مثلا .

أكنت ترى هذه الإمبراطورية الهائلة — وقد جمعها الدين فى قانون واحد ، ولم شعثها

[البقية على الصفحة رقم ٤٤٢]